

تفسير ابن كثير

قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ^ج وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ^ج وَلَا تَزِرُ
وِازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى ^ج ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ

يقول تعالى : (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل

عليه : (أغير الله أبغي ربا) أي : أطلب ربا سواه ، وهو رب كل شيء ، يرني ويحفظني

ويكأوني ويدبر أمري ، أي : لا أتوكل إلا عليه ، ولا أنيب إلا إليه ; لأنه رب كل شيء

ومليكه ، وله الخلق والأمر . هذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل ، كما تضمنت الآية

التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له . وهذا المعنى يقرب بالآخر كثيرا في القرآن كما

قال تعالى مرشدا لعباده أن يقولوا : (إياك نعبد وإياك نستعين) [الفاتحة : 5] ، وقوله (

فاعبده وتوكل عليه) [هود : 123] ، وقوله (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) [

الملك : 29] ، وقوله (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) [المزمّل :

9] ، وأشبه ذلك من الآيات . وقوله : (ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة

وزر أخرى) إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله ، أن النفوس

إنما تجازى بأعمالها إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد . وهذا من عدله تعالى ، كما قال : (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) [فاطر : 18] ، وقوله (فلا يخاف ظلما ولا هضما) [طه : 112] ، قال علماء التفسير : فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته . وقال تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) [المدثر : 38] ، معناه : كل نفس مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين ، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذريتهم ، كما قال في سورة الطور : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) [الآية : 21] ، أي : ألحقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة ، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال ، بل في أصل الإيمان ، (وما ألتناهم) أي : أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة ، بل رفعهم تعالى إلى منازل الآباء ببركة أعمالهم ، بفضلهم ومنته ثم قال : (كل امرئ بما كسب رهين) [الطور : 21] ، أي : من شر . وقوله : (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي :

اعملوا على مكاتكم إنا عاملون على ما نحن عليه ، فستعرضون ونعرض عليه ، ونبثنا
وإياكم بأعمالنا وأعمالكم ، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا ، كما قال تعالى : (قل
لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو
الفتاح العليم) [سبأ : 25 ، 26] .